منصور عبده حسن الذاري

الهنوم

الحلم الذي لم ينتهِ

منصور عبده حسن الذاري
الهلوف
الحلم الذي لم يتم

اسم الكتاب: الهنوف

اسم المؤلف: منصور عبده حسن الذاري

التصنيف: قصة قصيرة

إشراف: مجلة نور الثقافية

الهنوف

الحلم الذي لم ينتهِ

الهنوف

الحلم الذي لم ينتهِ

بقلم الكاتب اليمني منصور عبده حسن الذاري

في مدينة عتق، حيث تلتقي الجبال الشاهقة بسماء شبوة الصافية، كانت طفلة صغيرة بريئة وجميلة، تعيش في جو من السعادة والاطمئنان، تدعى الهنوف.

تملأ البيت ضحكاً وعبقاً. لم يكن عمرها يتجاوز الخمس سنوات، لكنها كانت كالنسمة التي ترسم البسمة على وجوه كل من حولها.

كانت عائلتها تسكن في بيت صغير ، محاط بالأمن، والأمان، وبالحب والحنان، حيث كانت الهنوف تقضي أيامها في اللعب والمرح.

لكن حروب القاعدة التي اجتاحت محافظة شبوة، غيرت كل شيء. الصراع المسلح بين القوات الحكومية والقاعدة، خلق جوًا من الخوف والقلق

خاصة ورب العائلة والد الهنوف يعمل ضابطًا في القوات المسلحة التي تحارب القاعـدة،
عائلة الهنوف اضطرت إلى النزوح، إلى محافظة إب، بحثًا عن الأمان..
لم يكن الأمان في محافظة إب مجرد حلم،
فبعد مدة من الزمن أعلنت الحرب على اليمن من قبل دول التحالف
فجاءت طائرات التحـالف بصرخاتها المدوية لتحول السماء إلى جحيم. الصواريخ تنفجر فوق البيوت، والغبار يتصاعد كأنّه غطاء أسود يحجب عنهم النور.
بينما كادت عائلة الهنوف أن تستقر في بيتٍ عتيقٍ يطلُّ على الأكمة، انطلقت طائرات التحالف كالنسور الجائعة، تلقي بصواريخها الغادرة على منزلهم، فحولته إلى ركامٍ من الرماد والدخان. بفضل رحمة الله، نجوا بأعجوبةٍ من الموت، بعد أن هربوا أمتارٍ معدودة من الدمار، وكانت تلك اللحظة أول صدمة نفسيةٍ تجتاح قلب العائلة.

لم يطل الوقت حتى انتقلوا إلى أحد بيوت
الأهل، ظنًا منهم أن الأمان قد حطَّ رحاله هناك.
لكن السماء لم تهدأ؛ عادت الطائرات لتقصف
المنطقة بأكملها، فاهتزَّت البيوت كما يهتزُّ
قصب السكر في الريح العاتية، وتحولت
المنازل إلى أطلالٍ من الغبار الأسود.
خشيةً من المزيد، انتقلت العائلة إلى مكانٍ آخر
يبدو أكثر أمنًا، لكن القدر كان له رأيٌ آخر. بعد
أيامٍ قليلة، عادت الطائرات الغادرة لتجتاح
المنطقة بقصفٍ عشوائيٍّ، فارتجَّت الأرض تحت
أقدامهم وكأنَّ الزلزال قد أفاق من سباته.

في النهاية، لجأت العائلة إلى منزل والدها الجديد، والذي لم يكتمل بناؤه بعد، ظنًا منهم أن تلك البقعة قد نالت حظها من الدمار ولن تطأها الطائرات مجددًا. لكن القدر كان قاسيًا؛ عادت الطائرات مرة أخرى، وهذه المرة سقطت قذائفها بجانب المنزل الذي كانت الهنوف فيه، فاهتزَّ البناء كأنَّه شجرةٌ في عاصفةٍ هوجاء، وامتلأت الأجواء بغبارٍ أسودٍ كثيف، وتحطمت النوافذ، وتطاير الزجاج كشظايا الليل المكسور.

،وسادت صرخات الرعب كل أرجاء المكان

في تلك اللحظة، شعرت الأم بأن الزمن قد
توقف؛
قلبها ينبض بصوتٍ أعلى من المدافع.
بعد الهدوء الذي أعقب الدمار، اكتشفت العائلة
أن الهنوف قد أصيبت بصدمة شديدة. لم تكن
مجرد جروح جسدية، بل ارتفع مستوى السكر
في دمها بشكل خطير، وهو ما لم يكن معروفاً
في تاريخ العائلة.
الطبيب أخبرهم بأن الصدمة النفسية هي
السبب،
وأنها الآن ستعيش مع مرض السكري وهي بسن
الخامسة من عمرها .
استمرّت رحلة الهنوف، تلك الطفلة التي حملت
في عينيها بريق الأمل وسط غيوم الحرب،

فعندما حملتها سيارة الإسعاف نحو صنعاء، كانت المدينة تشبه قلبًا ينبض بصوت المدافع البعيدة، لكنها أيضًا كانت ملاذًا للأرواح التي تبحث عن لحظة هدوء.

وفي غرفة العناية المركزة، بينما كانت أضواء الأجهزة تومض كنجوم في ليلة مظلمة،

تذكرت الهنوف كلمات أبيها حتى في أصعب اللحظات، يظل الورد يزهر في قلب الصحراء.

وهكذا ظلت الهنوف لمدة خمسة عشر يومًا، وكأن الزمن قد توقف لحظةً ليراقب جسدها الصغير وهو يصارع ارتفاع السكر المفاجئ،

ذلك الارتفاع الذي جاء وليد الخوف والهلع من انفـ.ـجارات الصوار.يخ التي لم تتوقف عن الرقص حولها.

عندما استقرّت حالتها، أخبر الأطباء بأنّها قد أصيبت بالسكري من النوع الأول، وأنّ هذه الإصابة لم تكن سوى نتيجة للضغط النفسي العنيف الذي عاشته.!!!!

هنا بدأت المعاناة النفسية الحقيقية لأسرتها؛ فالأب، الذي كان قد حمل على كاهله عبء حماية ابنته منذ اللحظة الأولى، وجد نفسه مضطرًا للاعتكاف بجانبها يومًا بعد يوم، يراقب مستوى السكر في دمها كما يراقب النجوم في ليلة صافية

لم تسمح الهنوف لأحدٍ أن يمسّ جسدها بالإبرة الحلوة للإنسولين سوى لوالدها.

كان هو الوحيد الذي يحمل الحقنة، ويهمس لها بكلماتٍ تطفئ لهيب الخوف: أنتِ قوية، أنا أحبك و أنا هنا معكِ.

والد الهنوف :

ضابطٌ في صفوف الجيش اليمني، كان يحمي الوطن بنفسه وبسلاحه. حين انهمرت الصواريخ على بيت العائلة، تحطم كل شيء في لحظةٍ واحدة، وتحول المنزل إلى ركامٍ من الرماد. في تلك اللحظة العصيبة ارتفع مستوى السكر في دم الهنوف نتيجة الخوف والهلع الذي اجتاح قلبها الصغير.

لم يتوقف القدر عند هذا الحد؛ فقد استشهد شقيقه الشاب عمر في ساحة

المعارك ضد العدوان. وبعد ثلاث سنوات، أُستشهد إبنه الأكبر هاشم أخ الهنوف في مواجهات مماثلة، فازدادت أعباء الأب وزادت جراحه.

الضربة الاقتصادية:

وما زاد الطين بلة أنَّ نقل البنك المركزي إلى عدن ألقى بظلاله القاتمة على راتب الأب الذي كان يعتمد عليه لإعالة ابنته. انقطع المرتب الذي كان يتدفق كالنهر في بيته، فانقلبت المعاناة إلى جحيمٍ لا يطاق، وتفاقمت الحاجة يومًا بعد يوم

ومع كل قطرة دمٍ تسيل من إصبعها بسبب الحقنة، كان قلب الأب ينزف أكثر، يحمل بين يديه حقنة الإنسولين وكأنها سلاحٌ آخر في معركته اليومية ضد المرض والفقر.

وحيدٌ في حضن العائلة

ومع كل تلك المصاعب، كان الأب يجد نفسه وحيدًا في تحمل المسؤولية؛ فهو الراعي الوحيد لأسرته.

كل لحظة يقضيها بجانبها هي معركة جديدة، فهو يراقب مستوى السكر، ويحمل الحقنة، ويقدم الدروس في الفصل، دون أن يترك مجالًا لأي شخص آخر أن يشاركه هذا العبء. في ظل هذه الوحدة، يتحول كل همس يقوله لها إلى دعاء، وكل ابتسامة ترسمها على شفتيها تصبح له بمثابة النصر.

في تلك اللحظات، تحول الأب من حارسٍ
إلى معالجٍ، ومن راعٍ إلى ملاذٍ آمن..!!
وحين حان موعد دخول الهنوف المدرسة
التي تقع بجوار
في تلك اللحظات، تحول الأب من حارسٍ
إلى معالجٍ، ومن راعٍ إلى ملاذٍ آمن..!!
وحين حان موعد دخول الهنوف المدرسة
التي تقع بجوار منزلهم، وجدت الفصول
فارغة من المعلمين؛
فقد هرب الكثير منهم بسبب الحرب

لم يجد الأب بدًا من أن يرفع يده ويقول:
سأكون معلمًا لأطفال القرية . وهكذا، أصبح
مدرسًا متطوعًا بلا أجر، يتنقل من صف إلى
صف وأحيانًا يجمع صفين أو أكثر مع بعضهم
البعض في صف واحد ، يشرح الدروس بينما
يراقب ابنته وهي تكتب حروفًا جديدة على
جدران الحلم.
كل يوم، بينما يرسم الأب الحروف على
السبورة، تتلألأ عينا الهنوف بروحٍ لم تنطفئ،
وكأنّ كل نقطة حبرٍ هي قطرة أملٍ تروي قلبها
المثقل. وفي ظل أصوات المدافع البعيدة،
يظل صوتها الصغير يردد أبياتًا من الشعر،
يخاطب بها الوطن الجريح:
يا وطنًا يمزقه الرصاص،

لكن قلبي ينبض بالخلاص .
هذه هي مشاهد من حياة الهنوف
الجديدة ،
بين حقنة الإنسولين وصوت المعلم الأب،
بين الخوف والشجاعة، بين الدمار والأمل.
من الهنوف إلى إيلاف:
أملًا في تبديل القدر في محاولة لإبعاد
الشر عنها، قررت عائلة الهنوف تغيير اسمها
إلى (إيلاف)، لعل وعسى أن يشفيها من
السكر.
كان الاسم يحمل في طياته معنى (التآلف)
و (الاندماج)، فربما يساعدها هذا التغيير
على الشفاء، كما يعتقد الكثيرون في
مجتمعهم.

لكن إيلاف لم تكن مجرد اسم جديد؛
هي روحاً لم تمت، هي طفلة قوية،
شجاعة، وجميلة.
استمرت في التفوق الدراسي، تحتل
الصدارة في كل اختبار

وتبدع في نظم الشعر الذي يلامس قلوب
كل من يسمعه
فكلما مرّت في الفناء، تردد معلماتها
وصديقاتها أبياتها:
يا وطناً يمزقه الرصاص،
لكن قلبي ينبض بالخلاص.
في مدرستها، أصبحت رمزًا للصمود، رمزاً
للشعب اليمني، الذي يعاني من الحرب
الظالمة. هي صرخة في وجه الحرب، تطلب
من العالم أن يتوقف، أن يسمح لليمن أن
تعيش في سلام،
نداء إلى العالم:

إن قصة إيلاف ليست مجرد حادثة عابرة؛
إنها صرخة مدوية تدعو كل إنسان إلى
الوقوف مع أولئك الذين فقدوا أمنهم
وصحتهم بسبب الحروب التي لا نهاية لها.
إنها تذكرنا بأن الأطفال، مهما كانت
الظروف قاسية، يظلون حاملين لأحلامٍ لا
تموت.
ندعو كل من يقرأ هذه السطور أن يرفع
صوته معنا، أن يطالب بوقف إطلاق النار،
بوقف العدوان على اليمن وأن يدعم
الجهود الإنسانية التي تقدم الرعاية
لضحايا الحرب.

فربما، إذا اجتمعنا جميعاً، نستطيع
أن نعيد لطفلة مثل إيلاف
الابتسامة التي سلبتها الصواريخ،
وأن نحول اسمها من
مجرد(إيلاف) إلى رمزٍ للشفاء
والأمل.

ختاماً:

إيلاف، هي قصة حقيقية، قصة طفلة يمنية، تعاني من الحرب الظالمة. هي قصة أمل، وشجاعة، وإصرار. هي دعوة إلى العالم، أن يوقف الحرب ، والعدوان وأن يعيد السلام إلى بلدها اليمن.

تبقى قصة إيلاف حيّة في وجدان كل من يقرأها و يسمعها، تذكيراً بأن الجمال الأخلاقي والشجاعة الإنسانية قادران على اختراق جدران الظلام.

فلنكن نحن الضوء الذي يهديها نحو مستقبلٍ أكثر أماناً وطمأنينة.

تمت بحمد الله